بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ
الصادقين
الإسلام محتاج الى جميع أبنائه
الاحد ١٧ محرم ١٤٤٢ هـ / ٦ أيلول ٢٠٢٠ م العدد ٢٠٥
نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:١)

خطوات عملية في أربعينية الفرج

أكدَّ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على ضرورة الاتيان بكل ما يدخل السرور على قلب الامام المهدي (صلوات الله وسلامه عليه) ويحصّل رضاه ويقرب منه ويعجّل بظهوره ويمهد ليومه الموعود بإذن الله تعالى استكمالاً لضجيج الملايين بالدعاء والطلب من الله تعالى ان يعجّل بظهور وليّه الأعظم وحجته على خلقه (ارواح العالمين له الفداء) فإن تقديم ملايين الاصوات على مطلب موّحد وفي أيام الله تعالى يُرجى ان لا يُردَّ. وفي هذا السياق ذكر سماحته عدة نقاط:

١- استحضار المعية الإلهية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد:٤) بكل ما تعنيه من آثار وبركات وأولها الورع عن محارم الله سبحانه واستشعار العون والرحمة والرفق والمصاحبة منه تبارك وتعالى، وغيرها مما ذكرناه في تفسير الآية الكريمة.
٢- الالتزام بالصلاة وأن تكون في أوقاتها قدر الإمكان ويحسُن أن تؤدى في المساجد جماعة إذا تيسر ذلك.
٣- نبذ الخلافات والصراعات وتجنب المهاترات والتسقيط وكل فحش في الكلام وحل المشاكل بحكمة وفق ما يرضي الله تعالى.
٤- البر بالوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار والتعامل بالأخلاق الحسنة مع الجميع.
٥- عفة اليد واللسان والبطن والعين وتهذيب الشهوات والغرائز.
٦- التفقه في الدين والتحاق النخب الواعية المثقفة بالحوزات العلمية بكل أشكالها الحضورية والإلكترونية.
٧- السعي في قضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم وتجنب إيذائهم.
٨- مساعدة المحتاجين وخصوصا المتعففين وكفالة الأيتام معيشياً وتربوياً وثقافياً وتزويج الشباب المتعففين من الحقوق الشرعية أو التبرعات.
٩- توعية الناس وهدايتهم وإرشادهم الى ما يصلح دنياهم وآخرتهم ودفع الشبهات عنهم وإجابة أسئلتهم.
١٠- الإخلاص في العمل والوظيفة التي في عهدتك وإتقانها وعدم التقصير فيها.
١١- تجنب كل لهو وعبث وإذا احتاجت النفس الى ترويج وتسلية فلا بأس بمنحها مقدار الحاجة.
١٢- إحياء الشعائر الدينية والمشاركة فيها.
١٣- تلاوة ما تيسر من القرآن الكريم ولو ربع جزء يومياً.
١٤- القيام بما تيسر من المستحبات خصوصاً صلاة الليل ولو ركعة واحدة والبقاء على الطهارة أطول وقت ممكن من دون ضغط على النفس أو إجهاد او تأثير على المسؤوليات الأخرى.
١٥- الدعاء يومياً للإمام الحجة (صلوات الله وسلامه عليه) (اللهم كن لوليك) ودعاء (يا من تحل به عقد المكاره) وزيارة عاشوراء والتصدق عن الامام وتسمية كل عمل يقوم به الافراد او الجماعات او المؤسسات باسم الامام لنشر ذكره المبارك وتوثيق علاقة الناس به (سلام الله عليه).

ويذكر أن سماحته (دام ظله) أصدر بياناً سابقاً في العام الماضي بعنوان (أربعينية الفرج.. من عاشوراء الى الأربعين) بتاريخ ٨ /محرم الحرام / ١٤٤١ والذي دعا فيه الى استثمار الأيام الأربعين المرتبطة بالأمام الحسين (عليه السلام) والممتدة من عاشوراء إلى زيارة الأربعين، في الضجيج إلى الله تعالى والتضرع والتوسل إليه ليصلح ما فسد من أمورنا بحسن حاله، كون هذه الأربعينية مناسبة لهذه الضجّة ولهذا التضرع لارتباط قضية الامام الحسين (عليه السلام) بدولة العدل الإلهي، ولأنها ملهمة لكل خير ومصدر قوة بيد الهداة والمصلحين، في ضوء قول الامام الصادق (عليه السلام): (فلما طال على بني إسرائيل العذاب.. ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى وهارون أن يخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة، هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلى منتهاه).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا واياكم الى كل ما يدخل السرور على قلب امامنا المهدي (عجل الله فرجه) وتجنب كل ما يدخل الكرب والالم على قلبه الشريف انه سميع الدعاء.

مكتب سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)
١٤/محرم الحرام/١٤٤٢
٢٠٢٠/٩/٣

﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران:١٤٤)

الانقلاب على الاعقاب نتيجة الارتباط بالذات دون المبدأ[1]

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤).

تثير الآية الكريمة قضية مهمة وتؤشر مرضاً خطيراً يصيب اتباع الديانات والمشاريع الإلهية وهو ذوبانهم في شخصية القائد ذاته وليس في الرسالة التي حملها اليهم مما يؤدي إلى انهيارهم وانحرافهم وتشتتهم عند غيابه عنهم بموت أو قتل والآية الكريمة تؤسس لحقيقة يجب أن يعيها المؤمنون اتباع الرسالات الإلهية العظيمة في كل الأجيال وهي أن يكون ارتباطهم بالرسالة نفسها لأنها تمثل المبادئ التي أرادها المرسل تبارك وتعالى، والارتباط بالرسول وحامل الرسالة مهما عظمت مكانته لابد أن يكون على هذا الأساس وليس على أساس الشخصنة التي تؤدي الى الصنمية وعبادة الذات والذوبان فيها بمعزل عن المبدأ بحيث اذا مات أو قتل فكأنه ينتهي كل شيء.

وهذا من أخطر الأمراض التي تُصيب اتباع الرسالات والمشاريع الإلهية لأنه يؤدي إلى اندثار الرسالة وانحرافها وتفرق الاتباع عند موت القائد(٢)، والصحيح أن يعتقدوا أن الرسالة باقية خالدة اما الرسول أو القائد عموماً فأنه معرَّض للموت أو القتل ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠) وان الله تعالى يقيّض لهذا الدين من يستمر بتبليغه وحفظه من التحريف والدّس وإقامته في حياة الأمة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (يا أيها الناس: ان الله تبارك اسمه وعزّ جنده لم يقبض نبياً قط حتى يكون له في أمته من يهدي بهداه ويقصد سيرته ويدلّ على معالم سبيل الحق الذي فرض الله عباده، ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ...﴾)(٣).

فالمؤمنون الصادقون هم الذين ذابوا في المبدأ – وهو الدين – واستوعبوه وجعلوه منهج حياتهم فلا تؤثر عليهم غيبة الرسول والقادة عموماً بل هم لا يرون انه قد غاب عنهم لأنه حاضر بينهم بالمبادئ التي أسسها لهم والمنهج الذي وضعه لهم فهم ينظرون إلى الرسالة ﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

وهذه الآية دليل على صدقه (صلى الله عليه وآله) وان القرآن كتاب منزل من الله تعالى، لأن دعوته (صلى الله عليه وآله) لو كانت لمنفعة شخصية له لعمل على تكريس ذاته كما يفعل الطواغيت ((اذا متُّ ضمآناً فلا نزل القطر)) بينما كان (صلى الله عليه وآله) يعمل على تذويب ذاته في المبدأ والشواهد على ذلك من سيرته الشريفة كثيرة كقوله (صلى الله عليه وآله) لمن ارتعدت فرائصه لما نظر إليه وهو يكلّمه (هوّن عليك.. فإني لست بملك.. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد)(٤).

والآية تحكي فصلاً من احداث معركة أحد فأنه لما نودي في جيش المسلمين من بعض المشركين أو المتآمرين والمنافقين وذيول قريش بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قتل انهزموا ((فجعل الرجل يقول لمن لقيه: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قتل، النجاء النجاء – أي انجوا بأنفسكم –))(٥) ودخل اليأس على أكثر المسلمين والقوا سلاحهم وأيقنوا بأن كل شيء قد انتهى بحيث ((قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فرَّ الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول))(٦) أي الشرك والجاهلية، وأخرج ابن جرير أيضاً ان بعضهم قال ((ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن ابي – زعيم المنافقين في المدينة – فيأخذ لنا أماناً من ابي سفيان، يا قوم ان محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلونكم))(٧) ومن كلامهم يظهر انهم من المهاجرين.

التتمة في الصفحة الرابعة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١٨) (الفاتحة:١)

أعظم آية في كتاب الله تعالى بحسب ما يأتي عن الامام الصادق (عليه السلام)، وتفتتح بها أعظم سور القرآن وأفضلهن وقد جمعت فيها كل علوم ومعارف القرآن الكريم كما في الرواية الآتية عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتمثل كل آية منها قاعدة كلية ومبدأ اساسياً من المبادئ التي يستند اليها الإسلام، وروي في ذلك عن ابن عباس قوله (إن لكل شيء اساساً، واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم)(١٩).

وقد روي في فضلها أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال (اذا قال المعلم للصبي: قل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم) وعن ابن مسعود قال (من أراد أن يُنجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإنها تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم)(٢٠).

ولا يبعد أن تكون البسملة وسورة الفاتحة التي تبتدئ بها أول الآيات القرآنية نزولاً كما انها الأولى تدويناً في المصحف الشريف ولنا على ذلك عدة شواهد:

١- الإشارة إليها في أول سورة العلق التي يقول المشهور انها اول الآيات نزولاً وفيها أمر بأن يبدأ قراءته باسم الله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:١) فالبسملة المشار إليها أسبق نزولاً وأنها كانت معروفة لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل آية العلق.

٢- ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتعبد ويصلي قبل البعثة ويقرأ القرآن من حين نزوله عليه بل ان نفس سورة العلق فيها إشارة الى صلاته ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (العلق:٩-١٠) ومن البعيد أنه كان يفعل ذلك من دون ان يفتتح عمله بالبسملة، وورد في الحديث المشهور (لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب)(٢١).

٣- عدة روايات تدل على ذلك، كالذي رواه في مجمع البيان عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأوّل ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب، ثم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾)(٢٢).

وفي تفسير القمي في قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:١) قال (قال: اقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري عن ابن عباس أنه قال (أول ما نزل به جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا محمد استعذ ثم قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

وما أخرجه الدارقطني عن ابن عمر (أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال (كان جبرئيل اذا جاء بالوحي أول ما يلقي عليَّ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))(٢٣).

وروى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (أول كل كتاب نزل من السماء (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))(٢٤) وروى البرقي في المحاسن بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ما نزل كتاب من السماء الا أوّله (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))(٢٥)، ومال الى هذا القول جملة من المفسرين، بل نسب الزمخشري إلى أكثرهم القول بأن سورة الفاتحة أول السور نزولاً(٢٦).

وفي مقابلها روايات(٢٧) كثيرة دلت على ان سورة العلق أول السور نزولاً، ويمكن الجمع بأن البسملة أو سورة الحمد اوحيت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أولاً على نحو الحديث القدسي كجزء من تأديب الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) بأن يفتتح كل أعماله بالبسملة ويبني حياته عليها ولا مانع من ان يكون ذلك قبل البعثة أصلاً، ففي دلائل النبوة للبيهقي (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لخديجة: إنيّ اذا خلوت وحدي سمعت نداءاً.. يا محمد قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾)(٢٨) والظاهر أن هذا قبل البعثة أبان عزلته في غار حراء.

ثم نزلت سورة الحمد ثانياً بعد ذلك لتكون جزءاً من القرآن النازل وليقرأها المسلمون في صلاتهم التي تأخر تشريعها عن بدء البعثة النبوية، ونزول سورة الفاتحة مرتين أحد معاني وصف سورة الحمد بالسبع المثاني.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر:٨٧) وتدل هذه الآية على عظمة السورة بحيث افردها الله تعالى بالذكر في مقابل القرآن العظيم كله وفي هذا المعنى روى الامام الحسن العسكري (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول (ان الله تعالى قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر:٨٧) فافرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن العظيم وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش) وفيها (الا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين منقاداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله تعالى بكل حرف منها حسنة، كل واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فأنه غنيمة لا يذهبنّ أوانه، فيبقى في قلوبكم الحسرة)(٢٩).

وروى الشيخ الكليني بسند صحيح عن محمد بن مسلم قال (سألت أبا عبدالله – أي الصادق (عليه السلام) – عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم، وهي أفضلهن)(٣٠).

ومن أسمائها (أم الكتاب) والأم لغة هي الأصل والجامع فكأن السورة أصل القرآن وجامعةٌ لمقاصده ومحتوية على معارفه الإلهية.

ولسورة الفاتحة آثار وبركات عظيمة بحسب ما ورد في الروايات(٣١) ومنها ما في تفسير العياشي (قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجابر بن عبدالله: يا جابر الا اعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه! قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علّمنيها، فعلمه (الحمدلله) أم الكتاب، قال: ثم قال له: يا جابر: الا أخبرك عنها؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي، فأخبرني، قال: هي شفاء من كل داء الا السأم – يعني الموت)(٣٢) وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)(٣٣) أي انها سبب لذلك والنتائج بيد الله تعالى كالأدوية.

وروي عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله (كان النبي (صلى الله عليه وآله) اذا كسل أو اصابته عين أو صداع بسط يده فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح يده على وجهه، فيذهب ما كان يجده)(٣٤) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد لله سبع مرات فان ذهبت والا فليقرأ سبعين مرة وأنا ضامن له العافية)(٣٥) وروي مثله في كتاب طب الأئمة الا أنه أضاف اليه الاذان والإقامة.

ويصل عظيم تأثيرها إلى مستوى ما جاء في الرواية الصحيحة في الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة فرُدّت فيه الروح ما كان ذلك بعجب)(٣٦).

والبسملة عندنا نحن الامامية جزء من كل السور القرآنية الا سورة التوبة لعلة ذكرتها الروايات(٣٧) فلا يصح افتتاح أي سورة الا بها وجزئيتها من كل سورة تعني ان للبسملة في كل سورة معنى غير ما في السورة الأخرى وان اشتركت لفظاً، وهي آية من سورة الفاتحة وبها بلغ عدد آياتها سبعاً.

وقد تكرّر الأمر بأن يبتدئ بالبسملة كقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١) وقوله تعالى ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمل:٨) وقوله تعالى ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى:١٥).

فمن الغريب تعدد أقوال العامة في البسملة فنفى بعضهم ان تكون آية من أية سورة وقال غيرهم بأقوال أخرى حتى انهم اسقطوها من سورة الفاتحة وتركوا قرائتها في الصلاة.

رغم انهم رووا في صحاحهم عن جمع من الصحابة ما يدل على انها آية من سورة الحمد وان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرأها ويجهر بها وروى الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة ان النبي (صلى الله عليه وآله) زجر رجلاً قرأ الفاتحة بدون البسملة.

وعندنا استحباب الجهر(٣٨) بالبسملة في جميع الصلوات وأنه من علامات المؤمن(٣٩) وأخرج الطبراني والدار قطني والبيهقي في شعب الايمان عن عدد من الصحابة ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يجهر بالبسملة في صلواته.

وآية البسملة فيها تأديب بأن نفتتح كل كلامنا وأفعالنا باسم الله تعالى لأنه عزوجل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ (الحديد:٣) ليكون العمل مباركاً ولا يكون كذلك ولا تكون التسمية صادقة الا اذا توفر عنصران بأن يكون الأمر حقاً ويكون مخلصاً لله تعالى فالتسمية تدعوا الى هذين الأمرين، وكان أول أمر نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو ان يبدأ رسالته وتبليغه عن الله تعالى بالبسملة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

وهو أدب سار عليه الأنبياء الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) ومثاله قول النبي نوح (عليه السلام) ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ (هود:٤١) وبدأ النبي سليمان رسالته بها ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (النمل:٣٠).

وقد جرت سيرة العقلاء على افتتاح كلامهم ومشاريعهم باسم عظيم في نظرهم أو اقترانه بمبدأ يخلّد الفعل والحدث، وقد نبّه القرآن الكريم إلى هذا الشأن قال تعالى ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة:٢٠٠) والله تعالى هو مانح الخلود ومجمع صفات الكمال فأولى أن ترتبط كل الأمور به تبارك وتعالى.

واسم الله عظيم البركة قال تعالى ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن:٧٨)، ومن الدلائل على عظمة البسملة ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) والشيخ الصدوق بسنده عن الامام الرضا (عليه السلام) وفي عدة روايات عنهم (عليهم السلام) قالوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أقرب الى اسم الله الأعظم من ناظر العين الى بياضها)(٤٠) وفي ثواب الأعمال بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) (اسم الله الأعظم مقطع في أم الكتاب)(٤١).

ورد في تفسير العسكري (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حدثني عن الله عزوجل أنه قال: كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر)(٤٢) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إن العبد اذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً فيقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فأنه يبارك فيه)(٤٣) وروى البرقي في المحاسن بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) (اذا توضأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس وكل شيء صنعه ينبغي له أن يسمي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك)(٤٤).

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (لا تدع ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإن كان بعده شعر)(٤٥) وعنه (عليه السلام) (ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيمتحنه الله عزوجل بمكروه لينبهه على شكر الله تبارك وتعالى عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه بسم الله)(٤٦) ولما كانت الصلاة عمود الدين والقرآن ثقل الله الأكبر فهما أولى بهذا الافتتاح فكيف اسقطوا البسملة منها؟!

تفسير الآية:

﴿بِسْمِ﴾ أي بإسم وحذفت الألف للوصل وهي ليست أصلية ومتعلق الباء محذوف يقدّر من سياق الكلام فعندما يسمى على أي فعل يكون تقديره ذلك الفعل وتقديره هنا (ابتدى) وورد

---

(١٨) كلمة لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ألقيت يوم الجمعة ١ محرّم الحرام ١٤٤٢ الموافق ٢١ /٨ /٢٠٢٠ (١٩) مجمع البيان: ١ /١٧ وحكيت عن ابن كثير في تفسيره: ١ /٩
(٢٠) مجمع البيان: ١ /١٩ ، البرهان:١ /٨٢ ح ٢٨ عن جامع الأخبار. (٢١) عوالي اللئالي: ١ /١٩٦، وسائل الشيعة : ٦ /٣٧ ، صحيح البخاري: ١ /١٩٢ (٢٢) معرفة القرآن في ضوء الكتاب والسنة للريشهري: ١ /١٠٥
(٢٣) الدر المنثور : ١ /٧ (٢٤ و٢٥) وسائل الشيعة : ٦ /٥٩ أبواب القراءة / باب ١١ ح٨ و١٢ (٢٦) الكشاف:٤ /٧٧٥ (٢٧) معرفة القرآن في ضوء الكتاب والسنة للريشهري : ١ /١٠٢
(٢٨) معرفة القرآن في ضوء الكتاب والسنة للريشهري عن دلائل النبوة: ٢ /١٥٨، تفسير القرطبي:١ /١١٥ (٢٩) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ١ /٣٦٠ ح ٦٠، أمالي الصدوق : ١٤٨ ح ٢ ، بحار الأنوار:٩٢ /٢٢٧

هذا المعنى في الرواية عن الامام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال الله عزوجل: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، اذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله جل جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقَّ علي أن أتمم له أموره وابارك له في أحواله)(٤٧) إلى آخر الحديث.

ويمكن ان تكون الباء للاستعانة بحسب قصد الفاعل، ويكون التقدير (استعين)، ويدل عليه ما رواه الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير وعظيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي استعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة لغيره)(٤٨).

والاسم ما يعرف به ذات الشيء ويدل على المسمى وأصله سِمْوٌ بدلالة قولهم في الجمع أسماء مثل قِنْوٌ اقناء وحِنْوٌ احناء وتصغيره سُمَيٌّ واصله من السمو وهو الذي به رفع ذكر المسمى فيعرف به(٤٩) من السمو والرفعة لأن المسمى يعلو بالاسم ويرتفع ويخرج من الخفاء إلى الظهور فيحضر في ذهن السامع.

وقيل أنه من الوسم والسمة أي العلامة، قال في مجمع البيان: والأول أصح، وقال السيد الخوئي (قدس سره) ((وهو خطأ لأن جمع اسم أسماء، وتصغيره سمي، وعند النسبة اليه يقال: سموي واسمي، وعند التعدية يقال: سميت واسميت، ولو كان مأخوذاً من السمة لقيل في جمعه أوسام، وفي تصغيره وسيم، وفي النسبة إليه وسمي، وعند التعدية وسمت وأوسمت))(٥٠).

أقول: لوحظ في الجمع والتصغير والنسبة نفس لفظ ﴿اسم﴾ مستقلاً من دون لحاظ اشتقاقه كالذي يقال في اللقب فلا تكون شاهداً على أحد المعنيين، فالأول أقرب لكن الثاني ممكن وليس خطأ كما قال السيد الخوئي (قدس سره) ووردت فيه رواية عن الامام الرضا (عليه السلام) قال (معنى قول القائل بسم الله أي أسِمُ نفسي بسمة من سمات الله عزوجل وهي العبادة، قال: فقلت له: ما السمة، قال العلامة)(٥١).

((ويصح رجوع أحد المعنيين إلى الآخر في جامع قريب: وهو البروز والظهور، لأن الرفعة نحو علامة، والعلامة نحو رفعة لذيها، وهما يستلزمان البروز والظهور))(٥٢).

﴿الله﴾ لفظ الجلالة اسم علم للذات المقدسة فيستجمع كل الأسماء الحسنى التي هي صفات.

﴿الرَّحْمَنِ﴾ من صيغ المبالغة لكن ليس من جهة الموصوف وهو الله تعالى ﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ﴾ [النحل : ٦٠] وإنما من جهة اللفظ، في نفسه أو بلحاظ عطائه تبارك وتعالى كقوله تعالى ﴿وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة:٢١٢) وهي صفة مشتقة من الرحمة وهي ضد الغلظة والقسوة والشدّة، قال تعالى ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩).

وقد عُرّفت برقة القلب والشفقة والعطف والتأثر ونحو ذلك وهي بالدقة من لوازمها عند البشر ومقدماتها التي تؤدي إلى انبعاثها وهي بهذا المعنى لا يوصف بها الله سبحانه، وإنما تعرف رحمته بآثارها على خلقه بالأنعام والتفضل وسد الاحتياج، قال الامام الصادق (عليه السلام) (وإن رحمة الله ثوابه لخلقه) (فهو رحيم لا رحمة رقّة)(٥٣) وفي نهج البلاغة (رحيم لا يوصف بالرقّة).

وهي صفة فعل أي تتحقق بظهور آثارها ولم ترد متعلقة بشيء وهذا يدل على إطلاق الرحمة وإنها غير مختصة بشيء بل تسع كل شيء، قال تعالى ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس:٥٢) وقال تعالى ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ (الملك:٣).

﴿الرَّحِيمِ﴾ صفة مشبهة تدل على الثبات والدوام وملازمتها للذات كالغريزة والسجية، وايرادها بعد وصف الرحمن للإشارة إلى أنّ صفة الرحمة راسخة في الذات لأن وصف الرحمن لا يدل عليها - بحسب اهل اللغة- وان دل على سعة الرحمة، فجمع الوصفين للدلالة على اجتماع الصفتين.

ولعل الابتداء بهذين الوصفين المشتقين من الرحمة دون اسمائه الحسنى لأنها أصل كل خير ولطف وعناية بالمخلوقين، وان أفعال الله تعالى وعلاقته بعباده مبنية على أساس الرحمة، حتى في عذابه وابتلائه فأنه رحمة بالعباد ليؤهلهم إلى درجات أفضل (يا من سبقت رحمته غضبه)(٥٤) والرحمة علة انزال الكتب وبعث الرسل، قال تعالى ﴿هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٣) وقال تعالى ﴿وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧) وقال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩) وقال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء:٨٢) وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل:٧٧) وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

والرحمن اسم خاص بالله تعالى، والرحيم عام فقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله) به ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨) ووصف به المؤمنون ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩).

ووردت روايات في الفرق بينهما ووجه الاتيان بهما بأن الرحمن اريد به سعة رحمته الفعلية لكل المخلوقات وكل البشر محسنهم ومسيئهم، وان الرحيم للدلالة على رحمته الخاصة بالمؤمنين او في الآخرة وروى في مجمع البيان عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (ان عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الدنيا، والرحيم رحيم الآخرة)، وفي رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) (والله إله كل شيء، الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة)(٥٥) ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم هو إنشاؤه إياهم وإخراج الجميع من العدم الى الوجود وخلقهم احياء قادرين، ورزقه إياهم، ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام وغفران الذنوب والآثام، وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق (عليه السلام) انه قال (الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة)(٥٦)، فالرحمن اسم خاص بالله تعالى لكنه يسع الجميع في عطائه وبركاته، والرحيم اسم عام يطلق على الله تعالى وغيره، الا انه خاص يتعلق بالمؤمنين وقيل في معناه ان الرحمة الرحمانية هي التي تمنح لجميع المخلوقات على حد سواء كإفاضة الوجود، اما الرحمة الرحيمية فهي التي تمنح للموجودات خصوصياتها، ((وتلك الخصوصيات غير المتناهية المجعولة منه تبارك وتعالى مورد الرحمة الرحيمية، فكما ان في الانسان نوعاً خاصاً منه وهو المؤمن مورد رحمته الرحيمية، وكذلك يكون في المَلَك والفَلَك والجماد والنبات ايضاً.

وقد ذكرا في مفتتح القرآن العظيم للإعلام بان القرآن من ابرز مظاهر رحمتيه تعالى، اما الرحمانية فلفرض وحيه وانزاله، واما الرحيمية فلانه تبارك وتعالى تجلى لعباده فاظهر فيه المعارف الربوبية، وخلاصة الكتب السماوية، وزبدة حقائق التكوين والتشريع وربط به قلوب اوليائه))(٥٧) لكن ما ورد في الدعاء إنه تعالى (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها)(٥٨) قد ينافي بعض الفروق المتقدمة، كما ان قوله تعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] لا تدل على الاختصاص بهم لان الجملة ليس لها مفهوم ينفي الرحمة عن غير المؤمنين.

ان البسملة خلاصة سورة الفاتحة التي هي أم القرآن وأصله ومجمع معارفه وعلومه التي هي المبدأ والمعاد ومسيرة التكامل إلى الله تعالى، فالبسملة عنوان الدين كله والرمز الذي يحفظ المنهج الإلهي لذا أكّد المعصومون (عليهم السلام) على ترديدها واستحضار معانيها في كل آنات الانسان وأفعاله فاذا أكل سمى واذا شرب سمّى واذا خرج سمى واذا رجع سمى واذا ذهب لقضاء حاجة سمى وهكذا في كل شيء لأنها علامة العبودية والطاعة لله تبارك وتعالى والإخلاص له وتعين المؤمن وتثبّته وتزيد من عزيمته على فعل الخير.

وقد ادرك شياطين الجن وفسقة الإنس عظمة هذه الآية فكانت ثقيلة عليهم، ففي الرواية المعتبرة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (إن ابليس رنَّ رنيناً – أي بكى بصياح – لما بعث الله نبيه على حين فترة من الرسل وحين نزلت أم الكتاب)(٥٩) وروى علي بن إبراهيم بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال أبو عبدالله (عليه السلام): ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أحق ما جهر به وهي الآية التي قال الله عزوجل ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء:٤٦))(٦٠).

ويظهر من الروايات أن الأمويين هم الذين أسّسوا لإزالة البسملة فقد ((أخرج الشافعي في الأم والدار قطني والحاكم وصححه والبيهقي عن معاوية أنه قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فناداه المهاجرون والأنصار حين سلّم يا معاوية أسرقت صلاتك؟ أين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فلما صلى بعد ذلك قرأها لأم القرآن وللسورة التي بعدها. وأخرج البيهقي عن الزهري: ان أول من أسرَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة))(٦١).

وقد عبَّر الأئمة المعصومون (عليهم السلام) عن غضبهم لهذا الانحراف وأسفهم لتضييع الأمة هذه الكرامة في روايات عديدة كقول الامام الباقر (عليه السلام) (سرقوا أكرم آية في كتاب الله : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وروي عن علي (عليه السلام) لما بلغه ان اناساً ينزعون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أنه قال (هي آية من كتاب الله أنساهم إياها الشيطان) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (مالهم قاتلهم الله عمدوا الى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة اذا اظهروها وهي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

هذا هو محور الاختلاف بين المنهجين واساس الصراع بين الفريقين فنحن نريد أن نثبّت اسم الله تعالى في كل الوجود ويكون كل شيء لله تبارك وتعالى ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾ [الأنفال : ٣٩] وهم يريدون محوه وان يأخذ الناس حريتهم في اتباع الشهوات وما تزيّنه الشياطين والفسقة لهم ﴿وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾ (النساء:٢٧).

---

(٣٠) وسائل الشيعة: ٦ /٥٧ أبواب القراءة ، باب: ١١ ح ٢ (٣١) تجد جملة منها في تفسيري البرهان ونور الثقلين (٣٢) عن تفسير العياشي: ١ /٢٠ ح ٩ ، بحار الأنوار: ٩٢ /٢٣٧ ح ٣٣ ، مسند ابن حنبل: ٦ /١٨٧ ح ١٧٦٠٨
(٣٣) سنن الدارمي: ٢ /٩٠٢ ح ٣٢٤٧، شعب الايمان: ٢ /٤٥٠ ح ٢٣٧٠ ، كنز العمال: ١ /٥٥٧ ح ٢٥٠٠ (٣٤) مكارم الاخلاق: ٢ /٢٠٣ ح ٢٥٢٣ (٣٥) الامالي للطوسي: ٢٨٤ ح ٥٥٣ بحار النوار: ٩٢ /٢٣١ ح ١٣ الدعوات: ١٨٩ ح ٥٢٥
(٣٦) الكافي: ٢/ ٦٢٣ ح ١٦ / الدعوات: ٨٨ ح ٥٢٢ ، مكارم الاخلاق: ٢/١٨٣ ح ٢٤٨٢
(٣٧) روى ابن عباس قال : (سألت علي بن ابي طالب (عليه السلام) لِمَ لم تكتب في براءة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ قال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان) المستدرك:٢ /٣٣٠) ويرى قسم ان عدم البسملة لأنها استمرار لسورة الأنفال وإن كانت سورة مستقلة. (٣٨) دلت عليه عدة روايات في وسائل الشيعة : ٦ /٥٧ أبواب القراءة، باب ١١
(٣٩) روى الشيخ الطوسي في (مصباح المجتهد:٧٨٧) عن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) قال (علامات المؤمن خمس: صلاة الاحدى والخمسين وزيارة الأربعين والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
(٤٠) التهذيب: ٢/٢٨٩ ح ١١٥٩ ، ثواب الأعمال :١٠٤ (٤١) ثواب الأعمال: ١٠٤ (٤٢) البرهان:١ /٨٠ (٤٢) وسائل الشيعة: ٧ /١٧٠ ، كتاب الصلاة ، أبواب الذكر، باب ١٧ (٤٣) بحار الأنوار:٨٩ /٢٤٢، تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ٢٥
(٤٤) وسائل الشيعة: ٦ /٥٧ أبواب القراءة : الباب ١١، ١٢،٢١ (٤٥ و ٤٦) نور الثقلين:١ /٦-٨ (٤٧) عيون أخبار الرضا: ٢ /٢٦٩، نور الثقلين : ١ /٩ ح ٩ (٤٨) وسائل الشيعة: ٥/٣٢٨ أحكام المساكن، باب ١٩
(٤٩) المفردات للراغب: ٤٢٨ مادة (سمو) ، مجمع البيان: ١ /١٩ (٥٠) البيان في تفسير القرآن: ٤٤٩ (٥١) نور الثقلين:١ /١٢، ح ٤١ عن كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السلام) (٥٢) مواهب الرحمن:١/١٠
(٥٣) نور الثقلين: ١ /١٤ (٥٤) مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة:٢٠ ، بحار الأنور: ٩١ /٢٣٩، ٣٨٦ (٥٥) توحيد الصدوق: ١ /٢٣٠، معاني الأخبار:١ /٣ ، الكافي:١ /١١٤ (٥٦) نور الثقلين: ١ /١٥ ح ٥٤
(٥٧) مواهب الرحمن: ١ /٢٠ (٥٨) نُقل عن الامام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة (أصول الكافي: ٢ /٥٥٧ ح ٦، وسائل الشيعة: ٨ /٤١ ح / ١٠٠٥٧ وفي الصحيفة السجادية: (١٧١) دعاؤه (عليه السلام) في استكشاف الهموم، نور الثقلين: ١ /١٥ ح ٥٥ ، مستدرك الحاكم: ١ /١٥٥
(٥٩) تفسير القمي: ١ /٢٩ (٦٠) تفسير القمي: ١ /٢٩ (٦١) الفرقان في تفسير القرآن:١ /٨٠

تتمة الانقلاب على الاعقاب نتيجة الارتباط بالذات دون المبدأ

فالآية توبّخهم وتقول بأن محمداً (صلى الله عليه وآله) ليس الا رسول مبلغ عن الله تعالى ما فيه هدايتكم وصلاحكم ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (آل عمران:١٥٤) وقد مضى من قبله رسل كُثُر على ذات المنهج والدعوة إلى الله تعالى، وكلهم مضوا إلى ربّهم بعد أن ادّوا ما عليهم من دون أن تموت المبادئ التي حملوها إلى أممهم فلماذا – والاستفهام هنا استنكاري – هذا الانقلاب منكم والنكوص والرجوع عما أنتم عليه من الحق الى جاهليتكم الأولى والتخلي عن مواصلة اعتناق الرسالة والمضي على ما مضى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمجرد أن صيح بكم بموته أو قتله (صلى الله عليه وآله) وهذا يعني ان رواسب الجاهلية ما زالت فيكم ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات : ١٤)، وأن ارتباطكم بالنبي (صلى الله عليه وآله) شخصي لاجل الدنيا وليس مبدأياً، وتعلّل آية أخرى هزيمتهم من المعركة بأنها انعكاس لهزيمتهم الروحية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ (آل عمران:١٥٥).

وتضيف الآية: واعلموا إن انقلابكم هذا لن يضرّ الله تعالى ولن يؤثر على استمرار الرسالة وخلودها لأن الله تعالى يأتي بمن يواصل حملها وحمايتها والانطلاق بها كما يشهد لذلك ما حصل في كل حالات الانقلاب التي وقعت فيها الأمة وإنما يخسر المنقلبون على اعقابهم لأن الدين جاء لإسعادهم في الدنيا والآخرة فاذا تخلّوا عنه فان حياتهم ستكون نكدة وشقية ﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (ابراهيم : ٨).

وقد ثبت في المعركة قلة من الافذاذ احاطوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) يقونه بأنفسهم يتقدمهم أمير المؤمنين (عليه السلام) واستشهد أكثرهم رُوي عن ابن عباس (أن علياً (عليه السلام) كان يقول في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن الله عزوجل يقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد اذ هدانا الله، ولئن مات أو قتل لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إني لأخوه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني)(٨).

وقد اعتبر الله تعالى ثباتهم على الرسالة والمبدأ شكراً فقال تعالى ﴿وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ لأن الشكر على النعمة هو استعمالها فيما يريده المنعم واستحضار ما يقتضيه حق الربوبية وان ثباتهم وتمسكهم شكر عملي على نعمة الايمان.

روى(٩) ابان بن عثمان عن ابي جعفر (عليه السلام) (أنه أصاب علياً يوم أُحُد ستون جراحة وروى الشيخ المفيد في الاختصاص أنها ثمانون تدخل الفتائل من موضع وتخرج من موضع بحيث خاف المداوي من معالجته لأنه كلما عالج جزءاً انفتق جزء آخر من بدنه فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يمسحه بيده ويقول: ان رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر وكان القرح الذي يمسحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلتئم فقال علي (عليه السلام): الحمد لله اذ لم أفرّ ولم أولّي الدبر فشكر الله تعالى له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله تعالى ﴿وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤)، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٥).

أقول: تصرّح الرواية بأن المقصود بالشاكرين هو أمير المؤمنين، ويمكن الاستدلال عليه بأن الثبات في المعركة كان شكراً حقيقة وقد ثبت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع مبارك من أصحابه، ولو أريد ذكر موقفهم لكان الأنسب في التعبير أن يكون (وسيجزي الله الذين شكروا) في إشارة إلى فعل محدد وحالة معينة وبمقتضى المقابلة مع الفعل ﴿انقَلَبْتُمْ﴾.

أما وصف الشاكرين فلا ينطبق الا على أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه يدل على ثبات الصفة عند الموصوف واستمرارها وهذا الوصف الثابت يلازم وصف المخلصين، لأنه اذا علمنا بأنه ما من شيء الا وهو نعمة من الله تعالى فقد ((بان ان الشكر المطلق هو ان لا يذكر العبد شيئاً – وهو نعمة – الا وذكر الله معه ولا يمس شيئاً – وهو نعمة – الا ويطيع الله فيه – لأن الطاعة حقيقة الشكر فهو دائم الشكر والذكر – ، فقد تبيّن ان الشكر لا يتم الا مع الإخلاص لله سبحانه علماً وعملاً، فالشاكرون هم المخلصون لله، الذين لا مطمع للشيطان فيهم، ويظهر هذه الحقيقة مما حكاه الله تعالى عن ابليس، قال تعالى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص:٨٢-٨٣) فلم يستثن من اغوائه أحداً الا المخلصين، وقال تعالى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦-١٧) فقد بدّل المخلصين بالشاكرين، وليس الا لأن الشاكرين هم المخلصون الذين لا مطمع للشيطان فيهم، لأن الشاكر متعلق بالله تعالى ولا مطمع له في سواه تبارك وتعالى وبذلك فقد سدّ على الشيطان منافذ اغوائه وإضلاله فكان من المخلصين، واتحدّ الشاكر والمخلص في المصداق وان اختلفا في المفهوم. اما المنقلبون فهم الذين قال عنهم إبليس ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧) ((وإن المقابلة بين الشاكر والمنقلب تشير إلى أن الثبات محصول الشكر وأن تثبيت كل فرد لموقعه الايماني يُعدُّ سبباً لارتقائه في درجات الشكر، ومن هنا يمكننا معرفة خطورة الشكر، وهذا الاهتمام هو الذي أدى الى التصريح بلفظ الجلالة في الآية بينما كان يمكن الاكتفاء باستعمال الضمير))(١٠) وكذا لم تذكر ماهية الجزاء للاشعار بعظمته وأنه يفوق التصور.

روى ابن هشام في السيرة ((انتهى أنس بن النضر – عم انس بن مالك وبه سمي – إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد القوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل))(١١).

والظاهر ان الانقلاب في الآية هو الرجوع عن الدين الى الكفر وليس مجرد الفرار من المعركة كما في آيات آخر كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٩) وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ (البقرة : ١٤٣)، وقد وصفت آية أخرى هذه الحالة بأنها كانت بسبب عدم استقرار الايمان في قلوبهم عودة إلى الجاهلية تعرضوا لها بسبب وفاة أو قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال تعالى ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران:١٥٤).

هذا هو حال الكثير من الصحابة الذين كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد، قال ابن هشام في بيان ما نزل من القرآن في معركة أحد بعد أن ذكر هذه الآية ((﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم، وتركتم جهاد عدوكم، وكتاب الله، وما خلف نبيّه (صلى الله عليه وآله) من دينه معكم وعندكم، وقد تبيّن لكم فيما جاءكم به أعني أنه ميت ومفارقكم ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ﴾ أي يرجع عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً﴾ أي ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته، ﴿وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي من اطاعه وعمل بأمره))(١٢).

والآية وان نزلت في حادثة وقعت الا انها تتحدث عن حالة انقلابية مستقبلية أيضاً شارك فيها جمع ممن انقلب على عقبيه يوم أحُد ولم تستطع السنوات التالية من مصاحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من القضاء على ادران الجاهلية في قلوبهم، فكان ما وقع يوم أحُد تدريباً وإعداداً للمسلمين لكي يتحملوا تلك الصدمة الحقيقية ويتخذوا الموقف الحازم الذي أمرهم الله تعالى به، فيحذرهم من الانقلاب على الاعقاب عند موت أو قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) والا فان المسلمين فرّوا من المعارك في مرات عديدة وان آياتٍ أخر ذكرت الفرار من دون هذه التعابير كقوله تعالى في هزيمتهم يوم حنين ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة:٢٥).

بل يخبرهم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذا مات أو قتل فعلاً في الزمان الآتي فأنكم ستنقلبون على اعقابكم وترجعون عن طاعة ما أمر به ربكم، والفرق ان ما وقع يوم أحُد من بعضهم كان ارتداداً عن الدين كما صرحوا في كلماتهم اما انقلابهم عند موت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعلاً فهو في الدين وليس عن الدين والكفر به كفر بالنعمة التي أنعم الله تعالى بها بإكمال الدين بالولاية لأمير المؤمنين (عليه السلام)، واستعمال صيغة الماضي ﴿انقَلَبْتُمْ﴾ لافادة التحقق القطعي كما في الحكاية عن أحداث يوم القيامة بصيغة الماضي، وقد حذرهم النبي (صلى الله عليه وآله) من هذا الانقلاب في يوم الغدير حين أمر المسلمين ببيعته ولياً لأمورهم بعده، فقال (صلى الله عليه وآله) (معاشر الناس أنذركم اني رسول الله إليكم قد خلت من قبلي الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين، الا وان علياً هو الموصوف بالصبر والشكر، ثم من بعده ولدي من صلبه)(١٣).

وقال في الحديث المشهور لدى الفريقين (ستفترق أمتي بعدي ثلاث وسبعين فرقة)(١٤).

وقد وقع هذا الانقلاب باتفاقهم على اقصاء من نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إماماً وخليفة من بعده، وأشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذا الرجوع على الاعقاب بقوله في خطبة الوسيلة (حتى إذا دعا الله عز وجل نبيه ورفعه اليه، لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خفقة، أو وميض من برقة، الى أن رجعوا على الأعقاب، وانتكصوا على الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الكتائب، وردموا الباب، وفلوا الديار، وغيروا آثار رسول الله، ورغبوا عن أحكامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلا، اتخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا أن من اختاروا من آل أبي قحافة أولى بمقام رسول الله ممن اختار رسول الله لمقامه، وأن مهاجر آل أبي قحافة خيرٌ من المهاجري الأنصاري الرباني ناموس هاشم بن عبد مناف)(١٥).

وقال (عليه السلام) في حديث طويل (وليس كل من أقرَّ أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً، ان المنافقين كانوا يشهدون ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويدفعون أهل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما عهد به من دين الله وعزائمه وبراهين نبوته إلى وصيه، ويضمرون من الكراهية لذلك والنقض لما أبرمه منه عند امكان الأمر لهم فيه بما قد بيّنه الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) بقوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾)(١٦).

وطبّقت السيدة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الآية الكريمة على فعلهم فقالت في خطبتها لما سلبوها فدكاً وانتهكوا حرمة دارها (أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه وانفتق رتقه وأظلمت الأرض لغيبته وكسفت الشمس والقمر وانتثرت النجوم لمصيبته وأكدت الآمال وخشعت الجبال وأضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وإلحاناً ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾)(١٧).

وقوله تعالى ﴿فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً﴾ مطلق ينفي كل اشكال ومراتب الاضرار والتأثير، فهذا وعد من الله تعالى بأن كل اشكال الانقلابات لا تضرّ الله شيئاً لذا نرى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بقيت ثابتة وظل عَلَمهم خفاقاً رغم كل الظلم والاضطهاد والقتل والتعذيب الذي انزله الطغاة بهم وبشيعتهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف : ١٢٨) (وَالْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام : ٤٥).

---

(١) كلمة لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ألقيت يوم الجمعة ١٥ / محرّم الحرام / ١٤٤٢ الموافق ٤ /٩ /٢٠٢٠ (٢) راجع قبس (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) (مريم:٥٩)
(٣) تفسير العياشي: ١/٢٠٠ (٤) سنن: ابن ماجة: ٤ /١٦ كتاب الاطعمة، باب القديد ح ٣٣١٢ والطبراني في الأوسط: ٢ /٦٤ رقم ١٢٦٠ والحاكم في المستدرك: ٣ /٥٠ رقم ٤٣٦٦ وصحّحوه
(٥) البرهان: ٢/٢٨٠ ح ١ عن تفسير القمي: ١ /١١٩ (٦) تفسير الطبري: ٧ /٢٥٨ (٧) تفسير الطبري: ٧ /٢٥٥ (٨) البرهان: ٢ /٢٨٠ ح ٤ عن آمالي الشيخ: ٢ /١١٦، الرياض النضرة: ٣ /٢٠٦ فوائد السمطين: ١ /٢٢٤
(٩) بحار الأنوار: ٤١ / ٣ ، المناقب لابن شهرآشوب: ٢ /١١٩، تفسير البرهان: ٢ /٢٨٢ ح ٢، نور الثقلين: ١ /٢٠٣ (١٠) تفسير تسنيم للجوادي الآملي: ١٥ /٦٥٤ (١١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣ /٣٠
(١٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣ /٥١ (١٣) نور الثقلين: ١ / ٢٥٣ ح ٣٨٦ عن الاحتجاج: ١ /١٥٠ (١٤) بحار الأنوار: ج ٢٨ / ص ٤ عن الخصال: ٥٨٥
(١٥) نور الثقلين: ١ /٢٥٢ ح ٣٨٤ عن روضة الكافي: ٨ /٢٩، ضمن حديث ٤ (١٦) نور الثقلين:١ /٢٥٣ ح ٣٨٨ عن الاحتجاج: ١ /١٠٣ (١٧) نور الثقلين: ١ /٢٥٣ ح ٣٨٧ عن الاحتجاج : ١ /١٠٣

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد ال
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (صلى الله عليه وآله) أو على عنوان البريد الألكتروني : com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

---

[1] (١)